بحر فارس

وسنذكر بعد ديار العرب بحر فارس، فإنه يشتمل على أكثر حدودها ويتصل بديار العرب منه وبسائر بلدان الإسلام ونصوره ثم نذكر جوامع مما يشتمل عليه هذا البحر ونبتدئ بالقلزم على ساحله مما يلي المشرق، فإنه ينتهي إلى أيلة ثم يطوف بحدود ديار العرب التي ذكرناها وبيناها قبل هذا على عبادان ثم يقطع عرض دجلة وينتهي على الساحل إلى مهروبان، ثم إلى جنابا ثم يمر على سيف فارس إلى سيراف، ثم يمتد إلى سواحل هرمز وراء كرمان إلى الديبل وساحل الملتان، وهو ساحل السند، وقد انتهى حد بلدان الإسلام، ثم ينتهي إلى سواحل الهند حتى ينتهي إلى سواحل التبت فيقطعها إلى أرض الصين، وإذا أخذت من القلزم غربيها على ساحل البحر، سرت في مفاوز من حدود مصر حتى تنتهي إلى مفاوز هي للبجة، وبها معادن الذهب إلى مدينة على شط البحر يقال لها: عيذاب، ثم تمتد على بلد الحبشة وهي محاذية لمكة والمدينة حتى تحاذي قرب عدن، ثم ينقطع الحبشة ويتصل بظهر بلده النوبة حتى ينتهي إلى بلدان الزنج، وهي من أوسع تلك الممالك فتمتد على محاذاة جميع بلدان الإسلام وقد انتهى مسافة هذا البحر ثم يعرض فيه جزائر وأقاليم مختلفة إلى أن يحاذي أرض الصين.

وقد صورت هذا البحر وذكرت حدوده مطلقا، وسأصف ما يحيط به وما في أضعافه جملا يقف عليه من قرأه إن شاء الله، أما ما كان من هذا البحر من القلزم إلى ما يحاذي بطن اليمن، فإنه يسمى بحر القلزم ومقداره نحو ثلاثين مرحلة طولا، وعرضه أوسع ما يكون غير مسير ثلاث ليال، ثم لا يزال يضيق حتى يرى من بعض جنباته الجانب الآخر حتى ينتهي إلى القلزم، ثم يدور على الجانب الآخر من بحر القلزم.

وبحر القلزم مثل الوادي به جبال كثيرة، قد علا الماء عليها وطرق السفن بها معروفة لا يهتدي فيها إلا بربان يتخلل بالسفينة في أضعاف تلك الجبال بالنهار، فأما بالليل فلا يسلك وماؤه صاف ترى تلك الجبال فيه، وفي هذا البحر ماء بين القلزم وأيلة مكان يعرف بتاران، وهو أخبث ما في هذا البحر من الأماكن، وذلك إنه دوارة ماء في سفح جبل، إذا وقعت الريح على ذروته انقطعت الريح على قسمين، فتنزل الريح على شعبين في هذا الجبل متقابلين فتخرج الريح من كلا هذين الشعبين فتتقابل، فيثور الماء وتتبلد كل سفينة تقع في تلك الدوارة باختلاف الريحين وتتلف، فلا تسلم واحدة وإذا كان للجنوب أدنى مهب فلا سبيل إلى سلوكه ومقدار طوله نحو ستة أميال، وهو الموضع الذي غرق فيه فرعون.

وبقرب تاران موضع يعرف بجبيلات، يهيج ويتلاطم أمواجه باليسير من الريح، وهو موضع مخوف أيضا، فلا يسلكه الصبا مغربا وبالدبور مشرقا، وإذا حاذى أيلة ففيه سمك كثير مختلف الألوان، فإذا قابل بطن اليمن سمي بحر عدن إلى أن يجاوز عدن، ثم يسمى بحر الزنج إلى أن يحاذي عمان عاطفا على فارس وهذا بحر يعرض حتى يقال: إن عبره إلى بلد الزنج سبع مائة فرسخ، وهو بحر مظلم أسود لا يرى مما فيه شيء، وبقرب عدن معدن اللؤلؤ يخرج ما يرتفع منه إلى عدن، وإذا جزت عمان إلى أن تخرج عن حدود الإسلام وتتجاوزه إلى قرب سرنديب يسمى بحر فارس، وهو عريض البطن جدا في جنوبه بلدان الزنج وفي هذا البحر هوارات كثير ومعاطف صعبة، ومن أشدها ما بين جنابة والبصرة فإنه مكان يسمى هور جنابة، وهو مكان مخوف لا تكاد تسلم منه سفينة عند هيجان البحر، وبها مكان يعرف بالخشبات من عبادان على نحو من ستة أميال على جرى ماء دجلة إلى البحر، ويرق الماء حتى يخاف على السفن الكبار إن سلكته، أن تجلس على الأرض إلا في وقت المد،

وبهذا الموضع خشبات منصوبة قد بني عليها مرقب يسكنه ناظور يوقد بالليل؛ ليهتدي به ويعلم به المدخل إلى دجلة، وهو مكان مخوف إذا ضلت السفينة فيه خيف انكسارها؛ لرقة الماء وبحذاء جنابة مكان يعرف بخارك وبه معدن اللؤلؤ يخرج منه الشيء اليسير إلا أن النادر إذا وقع من هذا المعدن فاق في القيمة غيره ويقال: إن الدرة اليتيمة تقع من هذا المعدن وبعمان وبسرنديب، في هذا البحر معدن لؤلؤ ولا أعلم معدنا للؤلؤ إلا ببحر فارس، ولهذا البحر مد وجزر في اليوم والليلة مرتان من حد القلزم إلى حد الصين حيث انتهى، وليس لبحر المغرب، ولا لبحر الروم، ولا لسائر البحار مد ولا جزر غير بحر فارس، وهو أن يرتفع الماء قريبا من عشرة أذرع، ثم ينضب حتى يرجع إلى مقداره، وفي هذا البطن من البحر الذي نسبناه خصوصا على فارس جزائر منها لافت، وخارك، وأوال، وغيرها من الجزائر المسكونة، وبها مياه عذبة وزرع وضرع، فهذه جوامع من صفة هذا البحر من حدود الإسلام.

وسأصف ما على سواحله صفة جامعة نبتدئ منها بالقلزم، ثم ننتهي إلى جنباته إن شاء الله، وأما القلزم فإنها مدينة على شفير البحر، وينتهي هذا البحر إليها، وهي في عطف هذا البحر في آخر لسانه وليس بها زرع، ولا شجر، ولا ماء، وإنما يحمل لهم من آبار، ومياه بعيدة منهم، وهي تامة العمارة بها فرضة مصر والشام، ومنها تحمل حمولات الشام ومصر إلى الحجاز واليمن وسواحل هذا البحر، وبينها وبين فسطاط مصر مرحلتان، ثم ينتهي على شط البحر فلا تكون بها قرية ولا مدينة سوى مواضع فيها ناس مقيمون على صيد من هذا البحر، وشيء من النخيل يسير حتى ينتهي على تاران وجبيلات، وما حاذى جبل الطور إلى أيلة، وأيلة هذه مدينة صغيرة عامرة بها زرع يسير وهي مدينة اليهود الذين حرم الله عليهم صيد السبت، وجعل منهم القردة والخنازير، وبها في يد اليهود عهد لرسول الله ﷺ.

وأما مدين وما انتهى على هذا البحر في عطوف اليمن إلى عمان والبحرين إلى عبادان، فقد وصفناه في صفة ديار العرب، وأما عبادان فإنها حصن صغير عامر على شط البحر، ومجمع ماء دجلة، وهو رباط كان فيه محارس للقطرية وغيرهم من متلصصة البحر، وبها على دوام الأيام مرابطون، ثم تقطع عرض دجلة فتصير على ساحل هذا البحر إلى مهروبان من حد فارس، ويعرض فيها أماكن تمنع من السلوك إلا في الماء، وذلك أن مياه خوزستان تجتمع إلى دورق وحصن مهدي وباسيان فتتصل بماء البحر، ومهروبان مدينة صغيرة عامة، وهي فريضة أرجان، وما والاها من أداني فارس وبعض خوزستان، ثم ينتهي البحر على الساحل إلى شينيز، وهي مدينة أكبر من مهروبان ومنها يرتفع الشينيزي الذي يحمل إلى الآفاق ثم ينتهي إلى جنابة.

وجنابة هذه مدينة أكبر من مهروبان، وهي فرضة لسائر فارس خصبة شديدة الحر، ثم ينتهي على الساحل إلى سيف البحر إلى نجيرم، وهذا السيف ما بين جنابة ونجيرم به قرى ومساكن ومزارع متفرقة مفترشة شديدة الحر، ثم ينتهي على سيراف، وهي الفرضة العظيمة لفارس، وهي مدينة عظيمة ليس بها سوى الأبنية شيء، حتى يجاوز على جبل يطل عليه، وليس بها ماء يجمد ولا زرع ولا ضرع، وهي أغنى بلاد فارس، ثم يتجاوز على الساحل في مواضع منقطعة تعترض بها جبال ومفاوز، إلى أن ينتهي إلى حصن ابن عمارة، وهو حصن منيع على هذا البحر وليس بجميع فارس حصن أمنع منه، ويقال: إن صاحب هذا الحصن هو الذي قال الله فيهم: (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) وينتهي على ساحل هذا البحر إلى هرموز، وهي فرضة كرمان مدينة غراء كثيرة النخل حارة جدا، ثم تسير على شطه إلى الديبل، وهي مدينة عامرة وبها مجمع التجار، وهي فرضة لبلد السند، وبلد السند هو المنصورة وأراضي الزط، وما والاها إلى الملتان، ثم ينتهي على ساحل بلدان الهند إلى أن

يتصل بساحل تبت وينتهي إلى ساحل الصين، ثم إلى الصين، ثم لا يسلك بعده.

وإذا أخذت من القلزم غربي هذا البحر، فإنه ينتهي إلى برية قفزة لا شيء فيها إلى يتصل ببادية البجة، والبجة قوم أصحاب أخبية شعر أشد سوادا من الحبشة في زي العرب، لا قرى لهم، ولا مدن، ولا زرع إلا ما ينقل إليهم من مدن الحبشة، واليمن، ومصر، والنوبة، وينتهي حدهم إلى ما بين الحبشة، وأرض النوبة، وأرض مصر، وينتهي إلى معادن الذهب، ويأخذ هذا المعدن من قرب أسوان مصر على نحو من عشر مراحل حتى ينتهي إلى حصن على البحر يسمى عيذاب، ويسمى مجمع الناس بهذا المعدن العلاقي، وهو رمال وأرض مبسوطة لا جبل بها، وأموال هذا المعدن يرتفع إلى أرض مصر، وهو معدن ذهب لا فضة فيه.

والبجة قوم يعبدون الأصنام، وما استحسنوه ثم يتصل ذلك بأرض الحبشة وهم نصارى، وتقرب ألوانهم من ألوان العرب بين السواد والبياض، وهم متفرقون في ساحل هذا البحر إلى أن يحاذي عدن، وما كان من النمور والجلود الملمعة، وأكثر جلود اليمن التي تدبغ للنعال تقع منها إلى عدوة اليمن، وهم أهل سلم ليسوا بدار حرب، ولهم على الشط موضع يقال له: زيلع فرضة للعبور إلى الحجاز واليمن، ثم يتصل ذلك بمفازة بلد النوبة، والنوبة نصارى، وهي بلدان أوسع من الحبشة، وبها من المدن والعمارة أكثر مما بالحبشة، ويخترق نيل مصر فيما بين مدنها وقرها حتى يتجاوز ذلك إلى رملة من أرض الزنج، ثم يتجاوزه إلى براري يتعذر مسلكها، ثم ينتهي هذا البحر حتى يتصل بأرض الزنج مما يحاذي عدن إلى أن يمتد على البحر، وتتجاوز محاذاتها جميع حد الإسلام، ويدخل فيما حاذى بعض بلدان الهند؛ لسعته وكثرته، وبلغني أن في بعض أطراف الزنج صرودا، فيها زنج بيض، وبلد الزنج هذا بلد قشف قليل العمارة قليل الزروع إلا ما اتصل بها من مستقر الملك.